مناهج المفسرين في بيان اثر التقسيم على ايضاح النص القرآني ومعناه الدلالي

م.د. عمر ياسين طه حسين الملاح

جامعة الموصل/ كلية العلوم الإسلامية

الملخص

يعد هذا البحث محاولة جديدة في الإشارة لأسلوب التقسيم في القرآن والذي يعده المفسرون أداة من أدوات الإيضاح والبيان ، لكنه لم يحظ بدراسة منفردة توضح معالمه وتشير إلى نماذج عملية تثبت استخدام المفسرين لهذا الأسلوب ، كما أنّ للتقسيم اثر في طريقة إيضاح المادة العلمية التي يحتويها النص القرآني وبيان تفريعاتها ، والذي قام به الباحث هو جمع شتات ما قيل في التقسيم من حيث المفهوم والأسلوب والمنهج الذي اعتمده المفسرون في استخدامهم للنص القرآني مع ذكر نماذج عملية لهذا الأسلوب ليخلص البحث إلى أهمية هذا الأسلوب وضرورة استخدامه في وسائل الإيضاح الخاصة بالدراسة القرآنية ومنهج يضاف إلى مناهج المفسرين .

المقدمة

الحمد لله الذي أفاض أنوار علمه في آياته البينات ، و فتح بفضله أسرارها لأولي الألباب وأصحاب القلوب النيرات ، فأخرجوا من أعماق بحر علومه درر الإشارات ، وفتشوا في قواقع دلالات اللفظ فأظهروا لؤلؤ معاني العبارات ، و الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد السادات ، وأول العارفين بمراد الله فيما كان و ما يكون وما هو آت ، وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ فمنّ الله عليهم بعظيم الفتوح و العنايات ، ووزّثوا علمهم لمن بعدهم بصدق القول وإخلاص العمل و حسن النيات ، وسلم اللهم عليهم تسليما كثيرا ملئ الأرض و السموات .

وبعد: فإنَ آيات الله تعالى جاءت شاملة لمحتوى موضوعها الذي يدور فيه النص بصورة جامعة مانعة كما أن كثيرا من المواضيع التي ذكرها القرآن الكريم لا تخلوا من تفريعات وتقاسيم يشتمل عليها موضوع الآية

القرآنية ولقد تطرق علماء التفسير لبيان هذه التقاسيم وتعاملوا معها بمنهجية خاصة كان لها أثرا بليغا في توضيح الصورة الإجمالية لموضوع الآي القرآني؛ لكن المهم أن هذه التقاسيم ومنهجيتها لم تحضى بعناية من جمع وإيضاح وبيان ملامح لذا جاء البحث لإيضاح ذلك قدر الإمكان من خلال عرض نماذج نسلط الضوء من خلالها على بيان منهجية التقسيم عند المفسرين وبيان ملامحه .

وللتقسيم أهمية كبرى في توضيح معالم المادة العلمية وتسهيل إدراك مضمونها على وجه العموم في كل العلوم، وتوضيح النص القرآني وبيان دلالاته وإشاراته خاصة وهو عمل المفسرين، فكل مفسر يوضح تلك الدلالات والإشارات حسب تخصصه الذي اختص به تفسيره، فمادة التقسيم مثلا عند الزمخشري إنما تكون غالبا في مباحث علم البلاغة واللغة ، ومادة التقسيم عند القرطبي مثلا تكون غالبا في مباحث علم الفقه، ومادة التقسيم عند الرازي تكوون غالبا في الأمور العقلية المنطقية والتي تتعلق غالبا في مباحث علم العقيدة ،ومادة التقسيم عند الإمام الطبري إنما تتعلق غالبا برواية الآثار الحديثية والتاريخية، وهكذا كل حسب تخصصه العلمي الذي انتهجه في تفسيره ،وإذا تمّ تحديد نوع موضوع التقسيم عند المفسر فيمكننا القول بأننا استعنا التوصل إلى معرفة منهجية ذلك المفسر في مادة التقسيم التي تعرض لها في تفسيره .

وتكمن أهمية دراسة التقسيم بتحديد موضوع مادته وبيان عنوانها الذي اندرجت تحته هذه المادة القرآنية ، واعني بالموضوع ماهية العلم الذي تتحدث عنه الآية كأن يكون الموضوع فقهي أو تاريخي أو دعوي ، ثم بيان عنوان تلك المادة في ذلك الموضوع كأن يكون عنوان الموضوع الفقهي في باب الصلاة أو الصوم أو البيوع مثلا وبعد تحديدها يتم النظر في كيفية الأسلوب والطريقة التي انتهجها المفسرون في بيان مادة ذلك التقسيم .

ولقد اعتمدت في بحثي هذا غالبا على مصادر التفسير واللغة، وجعلت بحثي مكونا من مبحثين الأول في تعريف التقسيم وبيان صحته ومفهومه ومناهج المفسرين فيه ، و الثاني في دراسة موضوعية لنماذج للتقسيم من نصوص القران الكريم وبيان كيفية تعامل المفسرين معها ثم أنهيت بحثي بخاتمة لأهم النتائج التي تستفاد من البحث وبالله التوفيق وله المنة والفضل .

لمبحث الأول : تعريف التقسيم و بيان صحته و مفهومه ومناهج المفسرين فيه .

المطلب الأول :. تعريف التقسيم و بيان الالفاظ ذات الصلة به .

التقسيم: . وهو في اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته، هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلاً .

وفي الاصطلاح :. (ضمُّ مختصٍ إلى مشترك، وحقيقته أن ينضم إلى مفهومٍ كلي قيود مخصصة مجامعة، إما متقابلة أو غير متقابلة) ، أو (ضم قيود متخالفة بحيث يحصل عن كل واحدٍ منهم قسم) ١.

وقال صاحب الفروق التقسيم : (هو جعل الشئ أقساما، وذلك يستدعي تقدم ما يتناول الأقسام نحو: الكلمة: اسم وفعل وحرف)٢.

وعرف المناوي بأنّه (حصر الأوصاف في الأصل وإبطال ما لا يصلح منها للغلبة فيتعين الباقي لها، ويقال هو كون اللف مترددا بين أمرين أحدهما ممنوع)٣ .

وأشار السيوطي(رحمه الله)إلى اختلاف العبارات فيه وأنّ الكل راجع إلى مقصود واحد، وهو(ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين ليخرج اللف والنشر)، ثم شرح معناه فقال:(هو استيفاء أقسام الشيء الموجودة، لا الممكنة عقلاً ، نحو: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ الرعد: ١٢ ٤، إذ ليس في رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين)، وكذا ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢ قَالَ ﴿ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ﴾ الواقعة: ٦ ٥، فإن العالم لا يخلو من هذه الأقسام الثلاثة، إما عاص ظالمَ لنفسه، وإما سابق مبادر للخيرات، وإما متوسط بينهما مقتصد فيهما، ونظيرها: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ قَالَ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ الواقعة: ١٠ ٦، وكذا ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ مريم: ٦٤ ٧ استوفى أقسام الزمان ، ولا رابع ٨ ، وذهب الكفوي إلى أنّ العقل يقتضي تقسيم مفهوم التَّقْسِيم: هُوَ على قسمَيْنِ: تقسم الْكُلِّي إِلَى جزيئاته ، وتقسيم الْكل إِلَى أَجْزَائِهِ :

. فَالْأول: هُوَ أَن يضم إِلَى مَفْهُوم كلي قيود مخصصة تجامعه إِمَّا متقابلة أَو غير متقالبة ليحصل بانضمام كل قيد إِلَيْهِ قسيم مِنْهُ، فَيكون الْمقسم صَادِقا على أقسامه.

. والثاني: وهو تقسيم الْكل إِلَى أَجْزَائِهِ بمعنى تَفْصِيله وتحليله إِلَيْهَا، فعلا يصدق الْمقسم على أقسامه ، فتقسيم الْكُلِّي إِلَى جزئياته حَقِيقِيّ نَحْو: (الْكَلِمَة اسْم أَو فعل أَو حرف) وتقسيم الْكُلِّي إِلَى أَجْزَائِهِ مجازي كَقَوْلِه: (فَقَالُوا: لنا ثِنْتَانِ لَا بُد مِنْهُمَا ... صُدُور رماح أشرعت أَو سلاسل) ٩.

فمفهوم التقسيم على ما سبق من التعريف هو احتواء أجزاء المادة العلمية أو تحديد موضوع النص وبيان فروعه للوصول إلى صورة مجملة توضح مفهوم النص أو المادة العلمية .

ومن الألفاظ ذات الصلة بالتقسيم لفظ (التعديد) :. (وهو إيقاع الألفاظ المبددة على سياق واحد ، فَإِن روعي فِي ذَلِك ازدواج أَو مُطَابقَة أَو تجنيس أَو مُقَابلَة فَذَلِك الْغَايَة فِي الْحسن مِثَاله قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ ١٠) ١١.

قال الإمام الزركشي وأكثر ما يؤخذ في الصفات ومقتضاها ألا يعطف بعضها على بعض لاتحاد محلها ،ويجريها مجرى الوصف في الصدق على ما صدق ولذلك يقل عطف بعض صفات الله على بعض في التنزيل وذلك كقوله: ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ قَالَ تَعَالَى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحشر: ٢٤ ١٣، وقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الحشر: ٢٣ ١٤، وإنما عطف قوله﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ الحديد: ٣ ١٥ أنها أسماء متضادة المعاني في موضوعها ١٦.

المطلب الثاني :. التقسيم في القران الكريم و بيان مفهومه .

من المعلوم لدى المشتغلين بعلوم القران، أنّ القرآن معجز بلفظه ومعناه وترتيبه للآي والسور وكذا تناسق لفظه ومعناه في سياق واحد ومن ذلك ما جاء من التقسيم في الكتاب الحكيم على أبلغ وجه، وأصح منهج كقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ الرعد: ١٢ ١٧،وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ﴾ الواقعة: ٩٤ الواقعة: ٨٨ ١٨، الآية الأولى تبين قسمي أثر البرق عند الناس ، والآية الثانية تبين أقسام الناس يوم العرض ، فهم ثلاثة لا رابع لهم ، فهذه قسمة صحيحة ١٩.

وينبه الإمام الزركشي إلى أنّ المراد من التقسيم ليس هو القسمة العقلية التي يتكلم عليها المتكلم لأنها قد تقتضي أشياء مستحيلة كقولهم الجواهر لا تخلو إما أن تكون مجتمعة أو متفرقة أو لا مفترقة ولا مجتمعة أو مجتمعة ومفترقة معا أو بعضها مجتمع وبعضها مفترق فإن هذه القسمة صحيحة عقلا لكن بعضها يستحيل وجوده ، ثمّ يؤكد المراد من التقسيم بأنّه استيفاء المتكلم أقسام الشيء بحيث لا يغادر شيئا وهو آلة الحصر ومظنة الإحاطة بالشيء كقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴾ فاطر: ٣٢ ٢٠ فإنه لا يخلو العالم جميعا من هذه الأقسام الثلاثة إما ظالم نفسه وإما سابق مبادر إلى الخيرات وإما مقتصد فيها وهذا من أوضح التقسيمات وأكملها ٢١.

وهو نفسه الذي يؤيده ابن حجة الحموي بإنّه عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، ومثل ذلك قوله تعالى: ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ ﴾ الرعد: ١٢ ٢٢ ، ليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين ٢٣.

المطلب الثالث:. (مناهج المفسرين في بيان اثر التقسيم على المعنى الدلالي للآية).

يمكننا القول بأنّ التقسيم في القران الكريم له أشكال وأنواع فمنها ما يكون ظني (اجتهادي)،ومنها ما يكون(بديهي) لا يحتاج إلى كثير تأمل؛ كالذكر والأنثى، والليل والنهار ، والحرارة ، والبرودة ، والجهات الست وغيرها من التقسيم البديهي .

أما الاجتهادي فهو الذي يحتاج إلى تأمل واستدلال والذي يستخرج عادة من مفهوم النص وهو في القران الكريم له أشكال وأنواع فمنه ما يُأخذ من مفهوم المخالفة ، ومنه ما يُأخذ بالمقابلة ، ومنه ما يُأخذ من تعدد معنى اللفظ ، ومنه ما يُأخذ من دلالة اللفظ ، ومنه ما يُأخذ من استيعاب فروع الحكم الشرعي ، ومنه ما يُؤخذ من اختلاف أوجه الإعراب حسب العوامل الإعرابية الواردة في سياق لفظ الآية ، ومنه ما يُأخذ من روح النص ، وغير ذلك من الأنواع .

وتتضح منهجية المفسرين في بيان اثر التقسيم من خلال ما ذكرته آنفا من هذه الأنواع التي تندرج تحته، فاستنباط هذه الوجوه وتحديد موضوعها هي بحد ذاتها منهجيتهم، فهناك من يركز على الجانب اللغوي

فيكثر من ذكر اثر التقسيم في هذا الجانب، ومنهم من يركز على اثر التقسيم في الجانب الفقهي، ومنهم من يركز على الجانب النحوي، ومنهم من يركز على الجانب الروحي، ولا يعني ذلك أنهم لا يتطرقون إلى الوجوه الأخرى بل تجدهم يذكرون بعضها في ثنيا تفسيرهم ، لكنه كثيرا ما يغلب جانب الاختصاص الذي التزمه المفسر في كتابه ليكون مَعْلَماً من معالم منهجيته في التقسيم، فمثلا تجد الرازي يُغلِّبُ جانب اللغة والنحو والتقسيم العقلي والعقائدي ،وتجد القرطبي يُغلِّبُ جانب الأحكام، وتجد الألوسي يُغلِّبُ جانب الروحانيات وكذلك القشيري والبقاعي، لكن هذا لا يعني أنهم لا يتطرقون إلى الجوانب الأخرى بل على العكس قد يكثرون من ذكر الجانب اللغوي والفقهي مع الجانب الذي اختصوا به، وسبب ذلك هو تفاوت المواضيع التي يقفون عليها في سياق الآية فكل موضوع من المواضيع التي ذكرها القران لها سياقها الخاص بها بطريقة يمكن أن تشمل المعنى المراد والمقصود بأوجز لفظ وأخصره ، وهو الذي يسمى عند المشتغلين بعلوم القرآن بالإعجاز البلاغي أو البياني على وجه الخصوص .

وسأذكر نماذج من اثر التقسيم لدى أشهر المفسيرين و أكثرهم تطرقا له حسب ما توصلت إليه من جرد لتلك الآثار في كتبهم وهي المادة العلمية في المبحث الثاني الآتي وسأجعله على شكل مواضع حسب ورودها في النص القرآني .

المبحث الثاني :. مواضع اثر التقسيم عند المفسيرين .

الموضع الأول :. قَولَه تَعَالَى: ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ ﴾ الجاثية: ٥ ٢٤.

ـ أثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بـ(علم العقيدة) في مسألة بيان الخلق وعظمة الخالق.

قال الإمام الفخر الرازي :. (وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ مِنْ وُجُوهٍ أَحَدُهَا: إِنْشَاءُ السَّحَابِ وَإِنْزَالُ الْمَطَرِ مِنْهُ وَثَانِيهَا: تَوَلُّدُ النَّبَاتِ مِنْ تِلْكَ الْحَبَّةِ الْوَاقِعَةِ فِي الْأَرْضِ وَثَالِثُهَا: تَوَلُّدُ الْأَنْوَاعِ الْمُخْتَلِفَةِ وَهِيَ سَاقُ الشَّجَرَةِ وَأَغْصَانُهَا وَأَوْرَاقُهَا وَثِمَارُهَا ثُمَّ تِلْكَ الثَّمَرَةُ مِنْهَا مَا يَكُونُ الْقِشْرُ مُحِيطًا بِاللُّبِّ كَالْجَوْزِ وَاللَّوْزِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ اللُّبُّ مُحِيطًا بِالْقِشْرِ كَالْمِشْمِشِ وَالْخَوْخِ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ خَالِيًا عَنِ الْقِشْرِ كَالتِّينِ، فَتَوَلُّدُ أَقْسَامِ النَّبَاتِ عَلَى كَثْرَةِ أَصْنَافِهَا وَتَبَايُنِ أَقْسَامِهَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ الْحَكِيمِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ قَالَ: وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ تَقْسِيمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فَمِنْهَا الْمَشْرِقِيَّةُ وَالْمَغْرِبِيَّةُ وَالشَّمَالِيَّةُ وَالْجَنُوبِيَّةُ،

وَمِنْهَا الْحَارَّةُ وَالْبَارِدَةُ وَمِنْهَا الرِّيَاحُ النَّافِعَةُ وَالرِّيَاحُ الضَّارَّةُ، وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَنْوَاعَ الْكَثِيرَةَ مِنَ الدَّلَائِلِ قَالَ إِنَّهَا آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَمَعَ هَذِهِ الدَّلَائِلَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ البقرة: ١٦٤ ٢٥، فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْأَقْسَامَ الثَّمَانِيَةَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَ الْمَوْضِعَيْنِ مِنْ وُجُوهٍ)٢٦ ولا داعي لذكر تلك الوجوه فلذي يهمّنا في هذا المقام بيان موضوع التقسيم الذي ذكره الإمام الرازي ثمّ الإشارة إلى منهجه في ذكر التقسيم .

ـ منهج الإمام الرازي في التقسيم في هذا الموضع :. يتحدث الإمام الرازي رحمه الله حسب ما فسره في هذه الآية عن علم العقائد وهو موضوع التقسيم في هذه الآية وبالتحديد في مسألة إثبات صفة الإرادة لله تعالى ، وفي هذه المسألة بالذات خلاف عند أهل الكلام وهو أنّ الله تعالى هل يعلم بكليات الأشياء دون جزئياتها أم يعلم بكليهما ومذهب الجمهور سلفا وخلفا يذهب الى أنّ الله يعلم بالكليات والجزئيات وإرادته اختصت ذلك فالإرادة وَهِيَ الْأَمر الَّذِي يَقع بِهِ فعل الْفَاعِل الْمُخْتَار على وُجُوه مُخْتَلفَة فِي الْحسن والقبح وعَلى مقادير مُخْتَلفَة فِي الْكَثْرَة والقلة وَسَائِر الهيئات والأشكال من السرعة والبطؤ وموافقة الْغَرَض ومنافرته فِي أَوْقَات مُخْتَلفَة فِي التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وَهَذَا هُوَ الْقدر الْمجمع عَلَيْهِ فِي مَعْنَاهَا ٢٧ .

ومن خلال ما أشار إليه الإمام الرازي رحمه الله يتضح لنا أنّه استخدم التقسيم التنويه إلى يستدل به لمسألة الإرادة ، وفي هذا الموضع تطرق لعلم العقائد ، ويلاحظ في منهجه أيضا أنه لم يفصل القول في الاستفادة ؛ بل أشار إليها إشارة من دون تفصيل إما لأجل الاختصار لبعض ما يتعرض له من مسائل علمية ، و إما لشهرة الخلاف في هذه المسألة ، أو لتكرر ذكرها في ما سبق من مواضع قرآنية ، أو أنّه لا يحب الاستطراد لكي لا يخل بأصل ما هو فيه .

الموضع الثاني:. قوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ الأعراف: ٣٢ ٢٨.

ـ واثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بـ(علم الفقه) في مسألة تحريم لبس الحرير والذهب للرجال .

قال ابن عطية رحمه الله :ـ (قوله هنا " الفواحش " إنما هي إشارة إلى ما نص الشرع على تحريمه في مواضع أخر فكل ما حرمه الشرع فهو فاحش وإن كان العقل لا ينكره كلباس الحرير والذهب للرجال ونحوه وقوله " ما ظهر منها وما بطن " يجمع النوع كله لأنه تقسيم لا يخرج عنه شيء وهو لفظ عام في جميع الفواحش وذهب مجاهد إلى تخصيص ذلك بأن قال " ما ظهر " الطواف عريانا و"البواطن" الزنى وقيل غير هذا مما يأتي على طريق المثال .

و " ما " بدل من الفواحش وهو بدل بعض من كل ومجموع القسمين يأتي بدل الشيء من الشيء وهو هو " والإثم " أيضا لفظه عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتكبها إثم هذا قول الجمهور ٢٩.

ـ منهج ابن عطية الأندلسي (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع :ـ يذهب ابن عطية إلى أنّ تقسيم الفواحش إلى ظاهرة وباطنه لا يعني أنّ لفظ الفواحش لوحده لا يشمل جميع المحرمات بل على العكس هو عام يطلق على كل محرم سواء كان ظاهرا أم باطنا فلا اثر للتقسيم عنده في هذه الآية .

بينما يذهب الإمام مجاهد (رحمه الله) إلى أنّ للتقسيم أثر في هذا الموضع فالفواحش لفظ غير عام في المحرمات فلابد من بيان معنى التقسيم هنا ومعنى الفواحش الظاهرة هي الطواف عريانا والباطنه هي الزنا .

ثمّ يؤكد ابن عطية رحمه الله ما ذهب إليه بجعله لفظ (ما) في قوله تعالى (ما ظهر منها) أنها بدل من الفواحش بدل بعض من كل ، و(ما بطن) كذلك ومجموع القسمين يكون بدل الشيء من الشيء فلا معنى للتقسيم عنده حينئذ ، وهذا بيان واضح لأثر التقسيم في بيان النص القرآني .

الموضع الثالث:ـ قوله تعالى:ـ ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأعراف: ٣٠

ـ واثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بـ(علم النحو) في إعراب (من) الشرطية وبيان جوابها قال ابن عطية :ـ (يصح أن تكون من شرطية وجوابه "فلا خوف عليهم" وهذه الجملة هي في جواب الشرط الأول الذي هو "إما يأتينكم"، ويصح أن تكون من في قوله "فمن اتقى" موصولة وكأنه قصد بالكلام تقسيم الناس فجعل القسم الأول "فمن اتقى"، والقسم الثاني "والذين كذبوا بآياتنا"، وجاء هذا التقسيم بجملته جوابا للشرط في قوله "إما" ٣١.

ـ منهج ابن عطية الأندلسي (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع :.

اختلفت طريقة المفسرين في بيان معنى هذه الآية فمنهم من ساق الكلام فيها بطريقة الإجمال دون التطرق لإعرابها ٣٢،ومنهم من ذكر إعرابها بطريقة الإحالة إلى مواضع سبق ذكرها ٣٣، ومنهم من ذكر إعرابها بطريقة موجزة ٣٤، ومنهم من أعرب هذه الآية بطريقة التقسيم ومن هؤلاء ابن عطية رحمه الله ، ولتقسيمه فائدة حيث أوضح أنّ (مَنْ) إمّا أن تكون شرطية وحينئذ ستكون جملة (فلا خوف عليهم) هي جواب الشرط ،وإما أن تكون موصولة وحينئذ لابد من التقسيم لمعرفة المقصود من الخطاب في صلة الموصول أولا، ولمعرفة جواب الشرط لأداة الشرط الأولى الواردة في قوله تعالى(إمّا يأتينّكم)؛ فأشار ابن عطية أنّ المراد من صلة الموصول تقسيم الناس إلى قسمين الأول(المتقين) والثاني (المكذبين) وكلا القسيمين يعد جوابا لأداة الشرط (إمّا) .

الموضع الرابع :. قوله تعالى:. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ ﴾ غافر: ٣٠

ـ واثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بـ(علم النحو في بيان الحال الإعرابي):.

قال الإمام البيضاوي رحمه الله:(ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء جملة إسمية مصدرة باسم الإشارة، وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة، وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً؛ للدلالة على أنه شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك) ٣٦.

ـ منهج الإمام البيضاوي (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع :. (من المعلوم أنَّ تفسير الإمام البيضاوي رحمه الله يعرف بأنّه تفسير يغلب عليه الاشتغال بأبنية الكلمة وبيان أحوالها الإعرابية ومعانيها ودلالاتها اللغوية ، وكذا الاشتغال بالقراءات ، وهذا الاشتغال يعد منهجه في التأليف وصبغة الكتاب التي اصْطُبِغَ بها ، ومن هنا فإنّ تقسيمه في كلامه الوارد في بيان هذه الآية جار مُجرى منهجيته من ناحية الاشتغال بأحوال الكلمة وإعرابها ؛ لكنّه في إيراده هذا النوع من الاشتغال منهج يضاف إلى منهجه وهو استخدامه للتقسيم في بيان الحال الإعرابي ، فإنّه جعل تقسيم العمال في الآية عند قوله تعالى (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً .....الآية ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا ... الآية) وجعل الجملة الاسمية مصدرة باسم الإشارة جزاء لأداة الشرط (مَنْ) في قوله تعالى

(فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) دلالة لتغليب الرحمة يوم الحساب لمن عمل صالحا ، فقوله لتغليب الرحمة إنّما استنتجه من وجود التقسيم فكان للتقسيم أثرا في تفسيره .

ثُمَّ أشار إلى أنَّ لفظ (العمل) في قوله تعالى: (مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً .....الآية ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا ... الآية) عمدة ، أي لا يستغنى عنه في الكلام؛ لكونه يؤدي معنى أساسياً في الجملة ٣٧، والإيمان في قوله تعالى (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) حالاً أي وهو مؤمن الواو للحال وهو مبتدأ ومؤمن خبر والجملة في محل نصب على الحال ٣٨، فكون العمل عمدة وكون الإيمان حال ليدل على أن الإيمان شرط في اعتبار العمل وأن ثوابه أعلى من ذلك ، وكل هذا مبناه على التقسيم الذي فسر أثره الإمام البيضاوي في تفسيره.

الموضع الخامس :- قوله تعالى :- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ الفرقان: ٥٤ اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق (بعلم الفقه بما يخص النكاح و المصاهرة) :- .

قال الإمام ألنسفي في قوله تعالى :- ({ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ } أي النطفة { بَشَرًا } إنساناً { فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا } : ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان ، وذوات صهر أي إناثاً يصاهر بهن كقوله تعالى { فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالانثَى }،{ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا } حيث خلق من النطفة الواحدة بشراً نوعين ذكراً وأنثى ، وقيل : فجعله نسباً أي قرابة وصهراً مصاهرة يعني الوصلة بالنكاح من باب الأنساب لأن التواصل يقع بها وبالمصاهرة لأن التوالد يكون بهما) ٤٠.

ـ منهج الإمام النسفي (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع :- يعرف تفسير الإمام النفسي بأنّه كتاب جامع لوجوه الإعراب والقراءات متضمنا لدقائق علمي البديع والإشارات حاليا فقد سلك فيه منهج الاعتناء باللغة والبلاغة والإشارات العلمية وهو في هذا الموضع قد استخدم أسلوب التقسيم لإيضاح إشارة من الإشارات العلمية التي تخص علم الفقة حيث ذكر أنّ تقسيم البشر إلى قسمين في قوله تعالى (فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) إنّما أراد به بيان نوعي البشر وهما ذوي النسب أي الذكورً الذين ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان، وذوات الصهر أي الإناث يصاهر بهن ، فتقسيمه هذا يعد أسلوبا ومنهجا اتبعه في بيان وتوضيح معنى هذه الآية على عكس أغلب غيره من المفسرين الذين لم يذكروا تفسيرها باسلوب التقسيم .

الموضع السادس :. قوله تعالى :. ﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ ﴾ الرعد: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ١٠ ﴾ الرعد: ٨ ١٠ اثر التقسيم في :.

. اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بعلم (النحو في باب ما المصدرية و الموصلة و الصفة وموصوفها وعلم البلاغة في باب المطابقة) وفيه بيان أهمية التقسيم للإيضاح والبيان وأنّه اسلوب قرآني:. قال العلامة ابن جزي:. (ما تَحْمِلُ وما تَغِيضُ وما تَزْدادُ: موصولة أو مصدرية سَواءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ المعنى إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء. وفي هذا وما بعده تقسيم، وهو من أدوات البيان، فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضا مطابقة وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسارِبٌ بِالنَّهارِ ... والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما، مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار: صفتان لموصوف بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار: صفتان لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونه قال: وسارب، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال، مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، إلا أنّ جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا، ويكون قوله: وَسارِبٌ عطف على الجملة وهو قوله: ومن هو مستخف لا على مستخف وحده) ٤٢.

ـ منهج الإمام ابن الجزي(رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع:. أشار ابن الجزي إلى أنَّ التقسيم أحد مناهج بيان اللفظ القرآني واستدل على ذلك من خلال قوله تعالى:(مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) وقوله تعالى:(مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) ثم قال (فهذه أربعة أقسام) قصد التي بينها مطابقة ٤٣وهي(من أسر)،و(من جهر)،و(مستخف)، و(سارب) وأشار إلى أنَّ التقسيم هو من أدوات البيان التي يتضح بها معنى اللفظ القرآني وهذا الكلام بحد ذاته يبين أثر التقسيم في بيان اللفظ القرآني و أنَّه منهج استخدمه اغلب المفسرين لإيضاح اللفظ القرآني وتسهيل بيان معناه .

الموضع السابع :. ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ البقرة: ٣٨ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾ البقرة: ٣٩ . 44

. اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بعلم(البلاغة باب النفي الذي هو من جملة علم المعاني) .

قال الإمام العلامة أبو حيان قي تفسيره لقوله تعالى :. (وَالَّذِينَ كَفَرُوا): (قَسِيمٌ لِقَوْلِهِ: (فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ)، وَهُوَ أبلغ من قوله: فَمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ ، وَإِنْ كَانَ التَّقْسِيمُ اللَّفْظِيُّ يَقْتَضِيهِ، لِأَنَّ نَفْيَ الشَّيْءِ يَكُونُ بِوُجُوهٍ، مِنْهَا: عَدَمُ الْقَابِلِيَّةِ بِخِلْقَةٍ أَوْ غَفْلَةٍ، وَمِنْهَا تَعَمُّدُ تَرْكِ الشَّيْءِ، فَأُبْرِزَ الْقَسِيمُ بِقَوْلِهِ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي صُورَةٍ ثُبُوتِيَّةٍ لِيَكُونَ مُزِيلًا لِلِاحْتِمَالِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ النَّفْيُ) ٤٥.

ـ منهج الإمام ابو حيان (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع:. عرف تفسير البحر المحيط بأنّه تفسير يعتني بالإشارات البلاغية والأدبية واللغوية وهذا ما أشار إليه في مقدمة تفسيره ٤٦، وهو في هذا الآية يظهر أثر التقسيم بجعله الموصول وصلته في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) قسيما لما سبقه من قوله تعالى (فَمَنْ تَبِعَ هُدايَ) وأوضح اثر هذا التقسيم ببيانه سبب ذكره وهو أنّ النفي في قوله تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يفهم منه عدم وجود احتمال ترك الهدى ، فالذين نفي عنه الخوف والحزن هم الذين ثبتوا على الهدى ، فلمّا جاء قوله تعالى : (و الذين كفروا) وهو القسيم أزال احتمال شمول غير الثابتين على الهدى بجزائهم وهو عدم الخوف والحزن، فكان للتقسيم أثر بالغ في إيضاح المعنى المراد في النص القرآني .

الموضع الثامن :. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ٩٩﴾ البقرة: ٩٩ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ البقرة: ٢٠٢ .47

اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بعلم (الفقه في باب الحج) وفيه إيضاح أصناف الناس في ذكر الله :. قال العلامة أبو حيان:. (الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا تَقْسِيمٌ لِلْمَأْمُورِينَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْمَنَاسِكِ، وَأَنَّهُمْ يَنْقَسِمُونَ فِي السُّؤَالِ إِلَى مَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ حُبُّ الدُّنْيَا، فَلَا يَدْعُو إِلَّا بِهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعُو بِصَلَاحِ حَالِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَأَنَّ هَذَا مِنَ الِالْتِفَاتِ ٤٨ ، وَلَوْ جَاءَ عَلَى الْخِطَابِ لَكَانَ: فَمِنْكُمْ مَنْ يَقُولُ: وَمِنْكُمْ ، وَحِكْمَةُ هَذَا الِالْتِفَاتِ أَنَّهُمْ مَا وَجَّهُوا بِهَذَا الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَهُ عَاقِلٌ، وَهُوَ الِاقْتِصَارُ عَلَى الدُّنْيَا، فَأُبْرِزُوا فِي صُورَةِ أَنَّهُمْ غَيْرُ

الْمُخَاطَبِينَ بِذِكْرِ اللَّهِ بِأَنْ جُعِلُوا فِي صُورَةِ الْغَائِبِينَ، وَهَذَا مِنَ التَّقْسِيمِ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ ضُرُوبِ الْبَيَانِ، وَهُوَ تَقْسِيمٌ بَدِيعٌ يَحْصُرُهُ الْمُقَسِّمُ إِلَى هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ) ٤٩.

ـ منهج الإمام أبو حيان (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع:. (فقد جعل من التقسيم تمهيدا لبيان الالتفات الحاصل في الآية فهو بعد أن وضح أقسام الذاكرين في الطلب و الدعاء وانّ منهم من يدعوا بطلب الدنيا ومنهم من يدعوا بطلب الدنيا و الآخرة ، ذكر الالتفات من الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى (ى ي □ ير □ □ ين □ □ □□) خطاب (□ □ □ بج) غيبة ، فما سبق يعد طريقة خاصة في بيان معنى اللفظ القرآني وتفسيره وهو أسلوب من الأساليب السهلة لإيضاح النص القرآني .

الموضع التاسع :. قوله تعالى :. ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ الأعراف: ٣٥ قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦﴾ الأعراف: ٣٦ ٥٠.

. اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بعلم (النحو في باب الشرط وجوابه) :. قال العلامة أبو حيان في قوله تعالى :. (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا) مَجْمُوعُهُمَا هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ وَكَأَنَّهُ قَصَدَ بِالْكَلَامِ التَّقْسِيمَ وَجُعِلَ الْقِسْمَانِ جَوَابًا لِلشَّرْطِ أَيْ (إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ) فَالْمُتَّقُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَالْمُكَذِّبُونَ أَصْحَابُ النَّارِ فَثَمَرَةُ إِتْيَانِ الرُّسُلِ وَفَائِدَتِهِ هَذَا وَتَضَمَّنَ قَوْلُهُ (فَمَنِ اتَّقى وَأَصْلَحَ) سَبْقَ الْإِيمَانِ إِذْ لَا يَنْشَأُ عَنْهُ إِلَّا الانهماك والإفساد وقابل الْإِصْلَاحُ بِالِاسْتِكْبَارِ لِأَنَّ إِصْلَاحَ الْعَمَلِ مِنْ نَتِيجَةِ التَّقْوَى وَالِاسْتِكْبَارُ مِنْ نَتِيجَةِ التَّكْذِيبِ وَهُوَ التَّعَاظُمُ فَلَمْ يَكُونُوا ليتّبعوا الرسل فيما جاؤوا بِهِ وَلَا يَقْتَدُوا بِمَا أُمِرُوا بِهِ لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بِالشَّيْءِ نَأَى بِنَفْسِهِ عَنِ أتباعه) ٥١.

ـ منهج الإمام أبو حيان (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع:. وضح الإمام تفسير الآية من خلال بيان اثر التقسيم في تحديد جواب الشرط ، فالشرط هو قوله تعالى:.(إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ) وجوابه قسمان في قوله تعالى(فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وهو القسم الأول، (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ) وهو القسم الثاني ، ثمّ بعد أن وضح الشرط وجوابه أشار إلى أنّ التقسيم في جواب الشرط له فائدة وهي بيان ثمرة إرسال الرسل فكانّ تقدير الكلام أرسلنا الرسل لنرى من يهتدي ومن يكفر ولكلا القسمين جزائه الخاص به .

الموضع العاشر:. وقوله تعالى:. ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ النساء: ٣٥ ٥٢.

. اثر التقسيم في هذه الآية يتعلق بعلم (الفقه في باب النكاح) :. قال القرطبي :. (قَالَ الْعُلَمَاءُ: قَسَّمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ النِّسَاءَ تَقْسِيمًا عَقْلِيًّا، لِأَنَّهُنَّ إِمَّا طَائِعَةٌ وَإِمَّا نَاشِزٌ، وَالنُّشُوزُ إِمَّا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الطَّوَاعِيَةِ أَوْ لَا؛ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلَ تُرِكَا، وَإِنْ كَانَا غَيْرَ ذَلِكَ وَرَأَيَا الْفُرْقَةَ فَرَّقَا بَيْنَهُمَا، وَتَفْرِيقُهُمَا جَائِزٌ عَلَى الزَّوْجَيْنِ، وَسَوَاءً وَافَقَ حُكْمَ قَاضِي الْبَلَدِ أَوْ خَالَفَهُ، وَكَّلَهُمَا الزَّوْجَانِ بِذَلِكَ أَوْ لَمْ يُوَكِّلَاهُمَا) ٥٣.

ـ منهج الإمام القرطبي (رحمه الله) في التقسيم في هذا الموضع:. نقل الإمام القرطبي لتقسيم العلماء حال النساء مع أزواجهن في هذه الآية ، فيه إشارة إلى استخدامه لأسلوب التقسيم في بيان معنى اللفظ القرآني واستخدامه في إيضاح المعنى المراد منه .

الخاتمة

١. يعد التقسيم أحد أساليب البيان والإيضاح للنص القرآني وهو منهج متبع عند المتقدمين والمتأخرين من العلماء سواء على صعيد التخصص الدقيق واعني علماء التفسير او على المستوى العام بالنسبة لباقي العلوم كعلوم اللغة والفقه والاصول .

٢. استخدم اغلب المفسرين هذا الأسلوب في تفسيرهم لغرض تسهيل ايضاح للفظ القرآني وبيان المادة العلمية لمحتوى النص ويعد اسلوب التقسيم في طرائق التدريس من الاساليب المهمة لنجاح المنظومة التعليمية .

٣. يتعدد أثر التقسيم في استخدام المفسرين له بتعدد مادة النص ؛ حيث يتعلق في إيضاح كثير من العلوم التي ترد ضمنا في مادة النص فيمكن ان يكون في النص الواحد عدة استدلالات لمختلف العلوم كأن ترد اشارة لعلم الفقه ، وبنفس الوقت الى علم اللغة وبنفس الوقت الى علم البلاغة .

٤. يمكن تحديد منهجية التقسيم في التفسير من خلال بيان الغرض من استخدامه وهو الإيضاح بمعنى أنّ التقسيم لا يأتي إلا لتأكيد المعلومة او ايضاحها أو بيان اجمالها أو اعطاء نبذة عن مفصَّلِها .

المصادر

١ . الجرجاني، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، المحقق، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية، بيروت ، (ط١) ، سنة (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

٢. أبو هلال العسكري ، معجم الفروق اللغوية ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ،المحقق: الشيخ بيت الله بيات، و الناشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،(ط١)،(١٤١٢هـ).

٣ . المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة ، (ط١) ، سنة (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٤ . السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(ط١) سنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

٥ . الكفوي، الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، المحقق ،عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت(د، س، ط).

٦. الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط١)،سنة(١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م) ،دار إحياء الكتب العربية .

٧ . المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم إبراهيم محمد ،(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى جامعة الأزهر الشريف) ، مكتبة وهبة ، (ط١)، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م) .

٨ . ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ،المحقق: عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال و دار البحار بيروت، (الطبعة الأخيرة)، (٢٠٠٤م).

٩ . الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط- ٣) ، (١٤٢٠ هـ) .

١٠ . القاسمي ، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى أبو عبد الله، عز الدين اليمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط٢)،(١٩٨٧م) .

١١. بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ،لبنان، (ط. ١) ،(١٤١٣هـ . ١٩٩٣م).

١٢. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب،المحقق: أحمد محمد شاكر،مؤسسة الرسالة،(ط١) ،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).

١٣. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المحقق : عبد الرزاق المهدي،دار الكتاب العربي، بيروت ، (ط١) ، (١٤٢٢ هـ).

١٤ . الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (ط٣) ، (١٤٠٧ هـ) .

١٥ . البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط. ١)، (١٤١٨ هـ) .

١٦ . دليل السالك إلى ألفية ابن مالك ص: ٢٠٧

١٧ . درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص ، دار اليمامة ، دمشق، بيروت ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت، (ط. ٤)، (١٤١٥ هـ) .

١٨ . النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت،(ط. ١)،(١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م).

١٩ . ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،(ط. ١) ،(١٤١٦ هـ) .

٢٠ . بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب،(ط ١٧)،(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٢١ . أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط. ١)، سنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).

٢٢ . القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (ط. ٢)، (١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م).

الهوامش

١. الجرجاني، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، المحقق، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت ، (ط١) ، سنة (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) : ص ٦٤ .

٢. أبو هلال العسكري ، معجم الفروق اللغوية ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ،المحقق: الشيخ بيت الله بيات، و الناشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ،(ط١)،(١٤١٢هـ): ص ١٢٩ .

٣. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة ، (ط١) ، سنة (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م): ص ١٠٦.

٤. سورة الرعد ، الآية : ١٢ .

٥. سورة فاطر ، الآية : ٣٢ .

٦. سورة الواقعة ، الآية : ٦. ١٠ .

٧. سورة مريم ، الآية : ٦٤ .

٨. السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(ط١) سنة (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م):. ١/ ٢٩٩ .

٩. الكفوي، الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، المحقق ،عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت(د، س، ط):. ص٢٦٤. ٢٦٥.

١٠. سورة البقرة ، الآية : ١٥٥ .

١١. الكفوي ، الكليات: ص ٢٩٤.

١٢. سورة آل عمران، الاية : ٢٣.

١٣. سورة الحشر ، الاية : ٢٤ .

١٤. سورة الحشر، الآية : ٢٣ .

١٥. سورة الحديد ، الاية : ٣ .

١٦ . الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (ط١)،سنة (١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م) ،دار إحياء الكتب العربية :. ٣/ ٤٧٥.

١٧ . سورة الرعد ، الآية : ١٢ .

١٨. سورة الواقعة ، الآية : ٨٨ . ٩٤ .

١٩ . المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، عبد العظيم إبراهيم محمد ،(رسالة دكتوراه بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى جامعة الأزهر الشريف) ، مكتبة وهبة ، (ط١)، (١٤١٣هـ . ١٩٩٢ م) :. ٢/ ٤٧٣ .

٢٠ . سورة فاطر ، الاية : ٣٢ .

٢١. الزركشي ، البرهان في علوم القرآن :. ٣/ ٤٧١ . ٤٧٤ .

٢٢ . سورة الرعد الاية : ١٢ .

٢٣. ابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله ،المحقق: عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال و دار البحار بيروت، (الطبعة الأخيرة)، (٢٠٠٤م):. ٢/ ٢٧٠ .

٢٤. سورة الجاثية ، الآية : ٥ .

٢٥. سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

٢٦. الرازي ، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (ط. ٣) ، (١٤٢٠ هـ) :. ٢٧/ ١٧٠. ٦٧١.

٢٧. القاسمي ، إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى أبو عبد الله، عز الدين اليمني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط٢)،(١٩٨٧م): ص ٢٢٨ .

٢٨. سورة الأعراف، الآية : ٣٣ .

٢٩ . بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ،لبنان، (ط. ١) ،(١٤١٣هـ . ١٩٩٣م):. ٢/ ٤٦٠ .
٣٠. سورة الأعراف ، الآية : ٣٥ .

٣١. ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :. ٢/ ٤٦٢ .

٣٢. الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،(ط١) ،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م):. ٤٠٦/١٢.
٣٣. ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد،المحقق :عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت (ط١)،(١٤٢٢ هـ):.٢/ ١١٧ .
٣٤. الزمخشري ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (ط٣) ، (١٤٠٧ هـ):. ٢/ ١٠٢ .
٣٥. سورة غافر ، الآية : ٤٠ .

٣٦. البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
، (ط. ١)، (١٤١٨ هـ) :. ٥/ ٥٨ .
٣٧ . دليل السالك إلى ألفية ابن مالك ص: ٢٠٧
٣٨. درويش ، إعراب القرآن وبيانه ، محيي الدين بن أحمد مصطفى ، دار الإرشاد للشئون الجامعية ، حمص ، دار اليمامة ، دمشق، بيروت ، دار ابن كثير، دمشق ، بيروت، (ط. ٤)، (١٤١٥ هـ):٨/ ٤٩١ .
٣٩. سورة الفرقان ، الآية : ٥٤ .

٤٠. النسفي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين ، حققه وخرج أحاديثه : يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو ، دار الكلم الطيب، بيروت ، (ط. ١) ، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م) :. ٣/ ١٤١ .
٤١. سورة ، الرعد ، الآية : ٨ . ١٠ .

٤٢. ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت،(ط. ١) ،(١٤١٦ هـ):. ١/ ٤٠١
٤٣ . وهي: الجمع بين المتضادين؛ أي: معنيين متقابلين في الجملة، ويكون ذلك : إما بلفظين من نوع واحد (اسمين)، كقوله تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ} ، أو (فعلين)؛ كقوله تعالى: {تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ} أو (حرفين)؛ كقوله تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} ، وإما بلفظين من نوعين؛ كقوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} أي: ضالا فهديناه ،أنظر، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب،(ط ١٧)،(١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م) :. ٤/ ٥٧٣. ٥٧٤ . ٤٤. سورة البقرة الآية : ٣٨ . ٣٩ .
٤٥. ابو حيان ، البحر المحيط في التفسير:. ١/ ٢٧٦ .

٤٦. أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (ط. ١)، سنة (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) :. ١/ ١٠٠ .

٤٧. سورة البقرة ، الآية : ١٩٩ – ٢٠٢ .

٤٨ .الالتفات:(هو العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم،أو على العكس)الجرجاني، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت،(ط.١)،(١٤٠٣هـ .١٩٨٣م):ص ٣٥.

٤٩. ابو حيان ، البحر المحيط في التفسير ٢/ ٣٠٩ .

٥٠. سورة الأعراف ، الآية : ٣٥-٣٦ .

٥١. أبو حيان ، البحر المحيط في التفسير ٥/ ٤٦ .

٥٢. سورة النساء ، الآية : ٣٥ .

٥٣. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، (ط. ٢)، (١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م) :. ٥/ ١٧٦ .

Abstract

This research is regarded a new attempt in reference to the method of division in the Quran . The commentators consider it as a tool of explanation , but it did not receive a single study that clarifies its features and it points to practical models that proves the use of this method by commentators . This division is has a trace in the way of clarifying the scientific material contained in the Uranic text and showing its branch s . what the researcher 's Carrick out is the collecting what have said provision in terms of concept , style and approach that was adopted by the commentators in their use of the Quranic text with the practical examples of this style . The yesearch conclude the importance of this method and the necessity of using it in the means of explanation for studying Quran and a method added to the commentators' method.